الإمام يوسف القرضاوي

ندوة العلماء بالهند
ودورها المعاصر

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة
ت ٢٣٩١١٧٤٧٠ فاكس ٢٣٩٠٣٧٤٦

محاضرات الإمام يوسف القرضاوي
ندوة العلماء بالهند
ودورها المعاصر
الإمام يوسف القرضاوي
الطبعة الأولى ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م
مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية -
عابدين - القاهرة
٤٠ صفحة ١٤ × ٢٠ سم
رقم الإيداع : ٢٠١٢/٨٩٩٠
الترقيم الدولي : I.S.B.N.
977-225-342-9

تحذير

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة وهبة (للطباعة والنشر). غير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد إلكترونية، أو ميكانيكية، أو نقله بأي وسيلة أخرى، أو تصويره، أو تسجيله على أي نحو، بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر أو المؤلف.

All rights reserved to The Auther And Wahbah Publisher. No Part of this Publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior written permission of the publisher And Auther.

دار الكتب والوثائق القومية

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد
إدارة الشئون الفنية

القرضاوي، يوسف.
ندوة العلماء بالهند ودورها المعاصر /
يوسف القرضاوي.-
القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠١٢
٤٠ ص؛ ١٤ سم
تدمك ٩ ٢٤٢ ٢٢٥ ٩٧٧ ٩٧٨
١- الاسلام والعلم - ندوات.

٦٣ - ٥و٢١٤

مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر
٦٤ شارع العباسية - القاهرة. ت: ٢٤٨٢٧٨٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

ندوة العلماء ودورها المعاصر[1]

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات ، وبفضله تتنزَّل الخيرات والبركات ، وبتوفيقه تتحقَّق المقاصد والغايات ، وأصلِّي وأسلِّم على البشير النذير ، والسراج المنير ، رحمة الله للعالمين ، وحجَّته على الناس أجمعين ، معلِّم الناس الخير ، وهادي البشرية إلى الرشد ، وقائد الخلق إلى الحقِّ ، ومخرج الناس ﴿ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (إبراهيم:١) ، سيدنا وإمامنا ، وأسوتنا وحبيبنا ، محمد ﷺ ، وعلى آله وصحبه ، ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف:١٥٧) ، ورضيَ الله عمَّن دعا بدعوته ، واهتدى بسنَّته ، وسار على دربه ، وانضمَّ إلى حزبه ، وجاهد جهاده إلى يوم الدين .

خير ما أحييكم به أيها الإخوة الأعزَّة ، والأبناء الأحبَّة ، تحيَّة الإسلام ، وتحيَّة الإسلام السلام ، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(وبعد)

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في جامعة دار العلوم ندوة العلماء بالهند ، في أكتوبر ١٩٩٦م .

فهذا هو اليوم الختامي لهذه الزيارة المباركة إن شاء الله ، لهذه الندوة المباركة ومؤسَّساتها المباركة ، أسأل الله تبارك وتعالى ، أن يجعل هذه الأيام في ميزاني وميزانكم حسنات ودرجات عنده ، وأن يتقبَّل منا أقوالنا وأعمالنا ، فليس لأيِّ عمل قيمة إذا لم يُقبل عند الله تعالى .

ذهب بعض الطلاب لشيخ لهم ، فوجدوه يبكي وهو على فراش الموت ، فقالوا : ما يبكيك وأنت الذي فعلتَ وفعلتَ ؟! وعدُّو له حسناته ، فقال : وما يدريني أن شيئا من هذا قُبِل؟ والله يقول : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة:٢٧) .

فالله لا يقبل أيَّ عمل ، بل يتقبَّل من أهل التقوى ، والتقوى ليست كلاما يُقال ، ولا مظهرا يخدع ، فقد قال ﷺ : « التقوى ها هنا » وأشار إلى صدره ثلاثا[1] .﴿ تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾(الحج:٣٢)، كما عبَّر القرآن الكريم .

ولذلك فالإنسان لا يطمئن إلى قَبول عمله ، وقد قال ابن عطاء الله في حكمه : ربما فتح الله لك باب الطاعة ، وما فتح لك باب القبول ، وربما فتح لك باب المعصية فكانت سببا

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤) ، وأحمد (٧٧٢٧) والترمذي في البر والصلة (١٩٢٧) ، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٧٤) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٦٦٠) ، عن أبي هريرة .

للوصول ، معصية أورثت ذلاً وانكسارا ، خير من طاعة أورثت عزًا واستكبارا[1] .

المهم أن يُقبل عمل الإنسان ، ولذلك قال هشام بن حسان : سيئة تسوءك ، خير عند الله من حسنة تعجبك[2] . فالعُجب يفسد الأعمال ، والرياء يفسد الأعمال ، ولذلك كان الإخلاص مُهمًا في كل شيء : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ (البينة:٥) ، ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٢ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ (الزمر:١١-١٣).

أيها الإخوة : هذا هو اليوم الختامي لهذه الزيارة المباركة ، وكان لا بدَّ أن نأتي إلى الختام ، فكلُّ ما له بدء له ختام ، وسبحان الأول الذي ليس له ابتداء ، والآخر الذي ليس له انتهاء ، ولا أدري هل يُقدِّر الله لنا اللقاء مرَّة أخرى في هذه الدار المباركة ، وفي رحاب شيخها الميمون المبارك الشيخ أبي الحسن الندوي[3] ، أو لعلِّي لا ألقاكم بعد هذا اللقاء ، وإن التقينا فأسأل الله أن يتقبَّل منا ، وان لم نلتقِ ، فأوصيكم بالدعاء لنا بالمغفرة .

---

(١) الحكمة ٩٥-٩٦ من الحكم العطائية .

(٢) رواه الدينوري في المجالسة (٢١٦٠) .

(٣) توفي الشيخ رحمه الله سنة ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .

أحببنا أبا الحسن قبل أن نراه :

أيها الأحبة : لكلِّ مؤسَّسة رمز يرمز إليها ، ويدلُّ عليها ، وكان الرمز الذي دلَّ على هذه المؤسَّسة ، ورَمَز إليها ، وجعلنا نحبُّها ونعشقها قبل أن نراها ـ والأُذْن تعشق قبل العين أحيانا . كما قال الشاعر العربي[1] ـ هو الشيخ أبو الحسن .

سعدنا بالشيخ أبي الحسن في مصر خاصَّة ، في أول زيارة له هناك ، وفي البلاد العربية بصفة عامَّة ، بعد زيارة الحج في سنة ١٩٥١م ، سعدنا به في مصر ، واستمعنا إليه ، والتقينا به ، وكنتُ طالبا حينها في كلية أصول الدين .

لقد أحببتُه قبل أن أراه من كتابه (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) ، واشتدَّ حُبِّي له بعد أن رأيتُه ، ورأيتُ فيه العالم الربَّاني الزاهد المجاهد ، الذي نرى في حياته وسلوكه صورة لعلماء السلف ، أقول ذلك ولا أزكِّي على الله أحدا ، وما اعتدتُ والله أن أمدح أحدًا ، لا ملكا ولا رئيسا ، ولكني أمدح الربَّانيين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، هذا الرجل أحسبه والله حسيبه بقية من علماء السلف .

لقد أحببتُه وأَحَبَّه كلُّ مَن عرَفه من المصريين ، وقد عرَفه الكثيرون زائرا لهم ، ومتحدِّثا إليهم ، ومحاضرا ، أحبُّوا فيه علمه

---

(١) من شعر بشار بن برد .

وعمله ، أحبُّوا فيه عقله الذكي ، وأحبُّوا فيه قلبه النقي ، أحبُّوا فيه المسلم الأصيل ، والمسلم المعاصر ، الذي يخاطب الناس على قدر عقولهم ، يكلِّمهم بلسانهم ليبيِّن لهم ، لا يخاطب الناس في القرن الرابع عشر بلسان القرن التاسع أو الثامن ، وإنما يكلِّمهم بلسان العصر ، يراعي الزمان والمكان وحال الإنسان ، وهكذا كان الشيخ أبو الحسن حينما لقيناه في مصر .

حبَّبَ إلينا الشيخ الندوي ندوة العلماء قبل أن نراها :

عرَفنا أن أبا الحسن يَنتسب إلى هذه الندوة ، فكنا نقرأ على كتابه (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، للشيخ أبو الحسن على الحسني الندْوي) ، كنا نقرأها بفتح الدال ، نسبة إلى نَدَى ، ولكنا عرَفنا منه أنه ندْويٌّ بالسكون ، نسبة إلى ندوة العلماء .

وعرفنا أنَّ ندوة العلماء تأسَّست في هذه الولاية ، وفي هذه الديار الهندية ، وتقوم على الجمع بين القديم والحديث ، القديم النافع ، والجديد الصالح ، وتقوم على المنهج الوسْطي ، وتدرِّس اللغة العربية وآدابها ، وأنه قد أسَّسها علماء ربانيون كبار ، مثل الشيخ : محمد علي المنجيري ، والشيخ شبلي النعماني ، والشيخ السيد سليمان الندْوي ، كلُّ هؤلاء العلماء الأفذاذ ، قامت هذه الدار بجهودهم .

وصف الشيخ علي الطنطاوي لندوة العلماء :

حبَّبَ إلينا الشيخ ندوة العلماء ، وعشقناها قبل أن نراها ، وازددنا لها حبًّا عندما قرأنا وصف مَن زاروها ، ومن هذه الأوصاف ما كتبه الأديب العربي الإسلامي الكبير العلاَّمة الشيخ علي الطنطاوي ، الذي هو أحد أدباء الأمة ، وأحد أقلامها النافعة ، الموجِّهة الهادية المؤثِّرة ، كَتب الشيخ علي الطنطاوي عن ندوة العلماء كلماته الرقيقة اللَّبِقة المعبرة المؤثرة .

وقال ضمن ما قال : (كنت أتمنَّى أن يكون للمسلمين معهد لا يجمد جمود الأزهر القديم ، ولا ينساب انسياب المعاهد الحديثة ، ويكون على المنهج الوسط ، يجمع بين أصلح القديم وأنفع الجديد ، حتى رأيتُ ندوة العلماء فوجدتُ فيها طُلْبتي .

وكان مما قاله الشيخ : إذا كان للإنسان أن يختصر أمانيه في أُمنية واحدة ، فإني أتمنَّى أن يعود بي الزمن إلى الوراء ، فأرجع تلميذًا صغيرًا ، وأتعلَّم وأعيش في رحاب هذه الندوة ، أو هذا المعهد ، أعيش في رحابه ، وأحيا بين طلاَّبه ، وأتعلَّم على شيوخه ، وأتنفَّس عطره ، فأحيا حياة جديدة بقلب جديد وأمل جديد) .
هكذا قال الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله .

زرتُ ندوة العلماء فصدَّق الخُبْر الخَبَر :

تعلَّقت بندوة العلماء ، وكم هفا إليها قلبي ، ورَنَت إليها عيني ، وتمنَّيتُ ذلك اليوم الذي أزور فيه هذه الدار النافعة الميمونة واستمتع برؤية شيوخها ، وطلابها ، وساحاتها ، وكلَّ شيء فيها ، حتى هيَّأ الله لي هذه الفرصة ، حينما دعاني الشيخ لحضور المهرجان التعليمي لندوة العلماء ، وذلك في عام ١٩٧٥م ، وحضرتُ مع مَن حضر من الإخوة العرب ، من العلماء والدعاة والشيوخ وأهل الرأي وأهل الفضل ، حضرنا في هذه الدار ، فصدَّق الخُبْر الخَبَر ، وأنشدنا ما كان يقوله الشاعر قديما :

كانت محادثة الركـــبان تخبرنـــا عن جابر بن رباح أطيب الخـــبرِ
حتى التقينا فلا والله مـــا سمعـــت أذني بأحسن مما قد رأى بصري[1]

بل رأينا بأبصارنا أحسن مما قد سمعنا بآذاننا ، والحمد لله .

مزايا ندوة العلماء :

ولندوة العلماء مزايا تميزت بها ، منها :

١- نفحات رُوحية في ندوة العلماء لا توجد في غيرها :

رأينا هذه الدار ، رأينا فيها نفحات لا توجد في ديارنا ، وهذه النفحات سرٌّ من أسرار الله تعالى ، ولعلَّه أثر من آثار الإخلاص ،

---

(١) من شعر الشريف بن الشجري .

إخلاص الذين أسَّسوا هذه الدار وهذه الندوة ، قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (التوبة:١٠٩) .

ونحن نحسب أن هذه الدار ، وهذه الندوة ، قد أُسِّست من أول يوم على تقوى من الله ورضوان ، لهذا بارك الله فيها ، ولذلك تجد فيها هذه النفحات الرُّوحية ، التي لا نحسُّ بها في غيرها .

أذكر أني قلتُ لهم في كلمتي في المهرجان التعليمي : إن في هذه الدار رُوحا لا توجد في غيرها ، هذه الرُّوح تظهر بهذه النيَّات الصادقة ، بهذا الاحتساب عند الله ، بالزهد في الدنيا ، بركل الدنيا بالأقدام الذي نراه واضحًا ، عند مؤسِّسي هذه الدار ، وتلاميذهم وخرِّيجيهم الذين تخرَّجوا على أيديهم ، وتربَّوا في حضانتهم ، نرى هذه الرُّوح رُوح الاحتساب والرغبة في الآخرة ، والزهد في الدنيا ، تؤثِّر في الطلاب أكثر مما يُؤثِّر الآخرون .

٢- معلمي هذه الدار أصحاب رسالة :

نحن في قطر ألَّفنا كُتبا في مادة العلوم الشرعية ، وقد كانت كُتبا حيَّة ، ألَّفها رجال نحسبهم من الصادقين ، فضيلة الشيخ

عبد المعز عبد الستار[1]، والدكتور أحمد العسال [2]، ومنهم الفقير إليه تعالى . وكانت كُتبًا قويَّة ، ولكن للأسف ، لم تؤدِّي هذه الكتب ما كُتِبَتْ له ، لم تُحقِّق هدفها ، لم تُؤتِ أُكلها ، والسرُّ أنها لم تجد المعلِّم الذي يحيي بها القلوب ، ويحرِّك بها النفوس ، بل وجدت من المعلمين مَن يُلقي على المادة الحيَّة من بروده وثلجيَّته ، ما يطفئ حرارتها ويفقدها هذه الحيويَّة ، المعلِّم الذي يميت المادة الحيَّة ، ويطفئ المادة الحارَّة ، لذلك كان المعلِّم أمرا مهمًّا .

هذه الدار تتميَّز بهؤلاء المعلِّمين الذين يؤمنون برسالتهم ، وفرق بين صاحب الوظيفة ، وصاحب الرسالة ، الذي يعمل عمله من أجل الوظيفة ، والنقود التي يأخذها في آخر الشهر ، فرق بين هذا وبين مَن يؤدِّي عمله على أنه رسالة يجب أن يؤدِّيها ، وأمانة يجب أن يُبلِّغهَا ، وعبادة لله يتقرَّب بها ، وجهاد في سبيل الله ، فما أعظم الفرق بينهما .

٣- أبناء هذه الدار ربانيون :

وأما خرِّيجوها ، فقد وضعت الدار نُصب عينيها أن تُخرِّج الربَّانيين ، والربَّاني هو مَن يجمع بين العلم والعمل والتعليم .

---

(١) توفي رحمه الله تعالى سنة : ١٤٣٢هـ ، ٢٠١١م .

(٢) توفي رحمه الله تعالى سنة : ١٤٣١هـ ، ٢٠١٠م .

كما قال السلف . وكما قال ربنا : ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ (آل عمران:٧٩) .

٤- الجمع بين العلم والعمل والدعوة :

تحرص هذه الدار على الجمع بين العلم والعمل والدعوة :

أولا : العلم الصحيح :

فهذه الدار تعمل على أن تعلم ، وتعلم العلم الصحيح والعلم النافع ، العلم الذي يهتم بالغايات أكثر من الوسائل ، وبالأصول أكثر من اهتمامه بالفضول .

فللعلم أقسام :

مما عرفناه عن هذه الدار حينما زرناها ، تلك اللوحة التي كتبها العلامة أبو الحسن وإخوانه ، وكان مما كتبوه في هذه اللوحة : أن العلم لا ينقسم بين جديد وقديم ، ولا بين شرقي ولا غربي ، وإنما ينقسم إلى : نافع وضار ، وصواب وخطأ ، وأصول وفضول ، وغايات ووسائل .

● نافع وضار :

وهذا تقسيم صحيح ، هناك علم ينفع وعلم يضر : فالعلم النافع هو الذي يهتم باللباب قبل القشور ، العلم الذي ينفع الناس

في آخرتهم ودنياهم، وقال الله تعالى عن بعض الناس: ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ (البقرة:١٠٢) ، هناك علوم ضارة ، وهناك علوم نافعة ، ولذلك اهتمت هذه الدار بالعلم النافع ، بلباب العلم لا بقشوره .

● **صواب وخطأ :**

واهتمت كذلك بالعلم الصواب ، فللعلم صواب وخطأ ، وينبغي أن نتحرى الصواب ونجتنب الخطأ ، لا ندَّعي العصمة لعلم بشري ، مهما كان ، فكل بشر يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم ، ولهذا تبنت هذه الدار أن تتحرى الصواب ، فإن لم تستطع الصواب فالأصوب في اجتهادها .

● **أصول وفضول :**

والعلم أصول وفضول ، فلنهتم بالأصول قبل الفضول ، وللإمام الشاطبي في الموافقات ، كلام جيد عن العلم وأنواعه ، فقال : هناك ما هو من صلب العلم ، وهناك ما هو من مُلَح العلم ، وهناك ما ليس من صلب العلم ولا من مُلَحِه . فالعالم الحق هو الذي يتحرى صلب العلم ، ويهتم بصلب العلم ، ويجعل أكبر همه ، ومبلغ جهده ، في طلب صلب العلم ، ولا مانع أن يُعرِّج على ملح العلم ، يطيب القلوب ، ويحلى بها الأوقات ، ويسري

بها عن النفوس ، لكن الأصل هو الصلب وليس المُلَح ، أما الذي ينبغي أن يترك هو ما ليس من مُلَح العلم ولا من صلبه .

وهذا موجود كثيرا في الكتب ، نجد ما لا يعتبر لا من مُلَح العلم ولا من صلبه ، وعدمه خير من وجوده يقينا ، ولا ينبغي لطالب العلم ، أن يشغل وقته وجهده في مثل هذا ، لأن هذا سيكون على حساب غيره . ولذلك فهذه الدار تهتم بالتعليم ، والتعليم الأصيل ، تعليم الأصول قبل الفضول أو الصلب قبل المُلَح .

● **غايات ووسائل :**

وينقسم العلم أيضا إلى : غايات ووسائل ، وواجبنا أن نقدم الغايات قبل الوسائل ، فلا مانع من اتخاذ الوسائل للغايات النافعة ، فهناك علوم وسائلية ، أو آلية ، وإن كنا لا نقصدها لنفسها ، ولكنها آلة لغيرها ، كما قال علماؤنا . فالعلوم اللغوية هي علوم آلية ، تُعتبر آلة لفهم القرآن والسنة .

فلا نهتم بالوسيلة إلا باعتبارها آلة لمقصد مهم ، وعلى قدر عظمة المقصد يكون الاهتمام بالوسيلة ، فما لا يتم الواجب إلا به ، فهو واجب ، لكن لا ينبغي أن تَشْغلنا الوسائل عن المقاصد ، فالمقاصد هي التي ينبغي أن تُوجَّه إليها الهمم والعزائم .

ثانيا : إقران العلم بالعمل :

تهتم الدار بتكوين الربانيين ، الذين يجمعون بين العلم والعمل والتعلم ، إذا جمع الإنسان العلم ، وحصَّله ، وبذل فيه جهده ، فواجب عليه أن يقرنه بالعمل ، والعلم بحر لا ساحل له ، ولا قرار له ، ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (الإسراء:٨٥) ، ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (طه:١١٤) ، ومن الكلمات المأثورة : لا يزال المرء عالما ما طلب العلم ، فإذا ظن أنه عَلِم فقد جهل . وقالوا : اطلب العلم من المهد إلى اللحد .

وكان السلف وعلماء الأمة يطلبون العلم وهم على فراش الموت ، يطلب أحدهم من تلميذه ، أن يقرأ عليه شيئا من الحديث ، أو شيئا من الفقه ، أو مسألة من المسائل ، فيأتيه الموت وهو يطلب العلم .

فبعد أن يطلب الإنسان العلم ، يجب أن يقرنه بالعمل ، وإنما يراد بالعلم عندنا نحن المسلمين العمل ، فعلم بلا عمل كسحاب بلا مطر ، أو شجر بلا ثمر . وكما قال الإمام الغزالي : العلم بدون عمل جنون ، والعمل بدون علم لا يكون ، وأنشد في ذلك بيتا بالفارسية ترجمه بالعربية :

لو كِلتَ ألفي رطل خمر لم تكن ... لتصير نشوانا إذا لم تشربِ

لا بد أن تشرب حتى تنتشي ، لا بد أن تتذوق العلم بالعمل به ، حتى يكون العلم نافعا ، وكما ورد عن الحسن : العلم علمان : فعلم في القلب ، فذلك العلم النافع ، وعلم على اللسان ، فذلك حجة الله على ابن آدم[1]. وكان عمر بن الخطاب يقول : اللهم إني أعوذ بك من المنافق العليم ، قالوا : وكيف يكون منافقا وعليما؟! قال : جاهل اللسان عليم القلب[2]. علمه على لسانه .

والعلم النافع هو الذي يصدر من القلب فيؤثر في القلوب ، وليست النائحة كالثكلى ، وكان ﷺ يقول : «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها»[3]

---

(١) رواه الدارمي في المقدمة (٣٦٤) موقوفا ، ورواه ابن أبي شيبة مرفوعا (٣٥٥٠٢) ، والحسن المروزي على الزهد لابن المبارك (١١٦١) ، وابن عبد البر في الجامع (٦٢٩) وصحح إسناده المنذري في الترغيب (٥٨/١) وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: أخرجه الترمذي الحكيم في النوادر ، وابن عبد البر ، من حديث الحسن مرسلا بإسناد صحيح ، عن الحسن .

(٢) رواه البيهقي في الشعب (١٧٧٦) .

(٣) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٢) ، والنسائي في الاستعاذة (٥٤٥٨) عن زيد بن أرقم .

والعلم النافع هو الذي يصحبه العمل ، وخاصة إذا كان علم الدين ، فما معنى أن تكون عالما بعلم الدين ، ولا تعمل به . سيكون علمك حجة عليك يوم القيامة .

ولذلك ينبغي أن تجهد نفسك ليكون العلم حجة لك لا عليك ، تقول قال الله وقال رسوله ، فلا بد أن يكون قول الله ورسوله محركا لك إلى استباق الخيرات ، واغتنام الطاعات واجتناب المحرمات ، لا بد أن تكون صورة لعلمك .

ومما ذكره الشيخ أبو الحسن من روائع إقبال : أنه قال عن التعليم العصري : إن هذا التعليم قد يعلمك التشدق في الحديث ، والتأنق في الزي ، وغير ذلك ، ولكنه لا يعلم الأعين الدموع ، ولا القلوب الخشوع .

فإذا كان علم الدين لا يعلم عينك أن تدمع ولا قلبك أن يخشع ، فما الفرق بينه وبين العلم الحديث المستورد من أوربا ، لهذا كان لا بد لطالب العلم الرباني أن يجمع لعلمه العمل .

ثالثا : الدعوة زكاة العلم :

لا بد أن يجمع إلى العلم الدعوة والتعليم ، أن يعمل إلى تعليم غيره ، ودعوة الغير إلى ما علم ، فلا يحتكر هذا الخير لنفسه ، لا يحتكر هذا النور ، وهذه الهداية الربانية لذاته ، ويترك الآخرين محرومين منها ، ليس هذا هو شأن الإنسان المؤمن .

وصف الله الناجين من خُسْر الدنيا والآخرة ، بأربعة أوصاف حينما قال : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ (العصر:١-٣) فكلمة تواصوا تعني : التفاعل من الجانبين ، أوصى غيره بالحق ، وقَبِلَ الوصية من غيره بالحق .

ليس هناك إنسان أصغر من أن يُوصِي ، ولا إنسان أكبر من أن يُوصَى ، بعد أن تؤمن وتعمل الصالحات ، ادع غيرك إلى الحق ، وجَنِّد الناس للحق .

الحق طريقه طويل ، وتكاليفه ثقيلة ، وهو مر ، لا يتجرعه إلا حر ، فلا بد أن تصبر عليه ، وأن توصي غيرك بالصبر عليه ، وأن تقبل من غيرك الوصية بالصبر ، وهذا سر اقتران ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ ﴾ مع ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ (العصر:٣) .

وكما قال لقمان لابنه وهو يعظه : ﴿ يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ (لقمان:١٧).

فلا بد لمن تعلَّم وعَلِم ، أن يدفع زكاة علمه فقد ملك النصاب ، ولا بد أن يؤدي زكاته ، فكل نعمة فيها زكاة ، حتى نجد عوام المسلمين ، يقولون لبعضهم : زكِّ عن عافيتك ، زكِّ عن صحتك ، عن أولادك . فكل نعمة ينبغي تزكيتها ، والعلم نعمة عظيمة ،

فيجب على الإنسان ، أن يزكي هذه النعمة وهذه الثورة ، وتزكيتها بتعليم الناس .

اهتمت ندوة العلماء بتعليم هؤلاء الربانيين ، ووُفِّقَت والحمد لله ، ومن توفيقها : أن الله سبحانه وتعالى هداها إلى هذا المنهج الوسط ، الجمع بين القديم النافع ، والجديد الصالح ، الثبات على الأهداف والغايات ، والتطور في الوسائل والآلات ، الجمع بين الإيمان الراسخ ، والعلم الواسع ، بين الدين الثابت والعلم المتغير ، فلهذا جمعت بين الأصالة والمعاصرة ، وعاشت عصرها ، ولم تكتف بقراءة الكتب القديمة وحدها ـ مع أن فيها خيرا وبركة ـ ولكن هذه الكتب عندما أُلِّفت ، لم تكن قديمة بل كانت جديدة في عصرها .

وهكذا خدم العلماء أمتهم وبيئتهم ، وعصرهم ، بلسان قومهم ، فعلينا أن نخدم عصرنا بلسان عصرنا ، وبيئتنا بلسان بيئتنا .

٥- الندوة ثابتة في الأصول متغيرة في الوسائل :

لقد طورت الندوة الوسائل والآلات ، تثبت وتجمد أكثر من السلف ، على الأصول ، والكليات ، والأهداف ، ولكنها مرنة ولينة ، كما قال إقبال رحمه الله : في صلابة الحديد ، ونعومة الحرير .

تصلب أحيانا كما يصلب الحديد ، وتلين أحيانا كما يلين الحرير ، أو كما نقول : كما يلين العجين .

٦- الندوة تستخدم الكمبيوتر في العلوم الإسلامية :

رأينا اليوم حجرة الكمبيوتر ، وهذا تطور ينبغي أن نرحب به ، وننوه به ، ونحتفي به ، ينبغي على طالب دار العلوم في ندوة العلماء ، أن يتعلم شيئا عن هذه الآلة العجيبة التي اخترعها غير المسلمون للأسف، ويسمونه أجيالا ، كلما جاء جيل حسَّن وطوَّر .

فأول ما ظهر الكمبيوتر ، كان شيئا كبيرا يملأ حجرة ، وكانت خدماته محدودة وكان غاليا ، أما الآن فقد صغُر حجمه ، وقلَّ ثمنه ، وكثرت خدماته ، وأصبح مُسْتَخْدَما في شتى الأمور ، ومنها ما يستخدم في العلوم العربية والإسلامية ، هناك أناس سعوا أن يحصروا اللغة العربية ، في برنامج على الكمبيوتر ، وآخرون حصروا الأحاديث وجميع كتب الحديث ، وكتب الفقه .

كتب أحد إخواننا ، وهو زميل لي في كلية الشريعة ، وقد زار الندوة هنا ، هو أخي الدكتور عبد العظيم الديب[1]، كَتب بحثا عنوانه : الكمبيوتر حافظ عصرنا ، طلبة العلم كانوا يجلسون بين يدي شيوخهم ، ويلقبونهم بلقب (الحافظ) كالحافظ ابن حجر ، والحافظ السيوطي ، فصار حافظ عصرنا هو الكمبيوتر ، فينبغي أن نهتم بحافظ العصر هذا ، لا يمكن أن نستغني عنه ، وقد بدأت الآن شركات ومؤسسات تخزن على الكمبيوتر كتب الحديث ،

---

(١) توفي رحمه الله تعالى سنة : ١٤٣١هـ ، ٢٠١٠م .

وأخونا الدكتور محمد مصطفى الأعظمي ، يعمل في هذا منذ نحو ثلاثين سنة ، ومنذ سنوات أقمنا مؤتمرا في قطر ، بعنوان : نحو موسوعة شاملة للحديث النبوي ، فقال : أنه جمع سبعة عشر كتابا في السنة ، في نحو ثلث قرص كمبيوتر ، وفيه أكثر من ثلاثمائة ألف حديث ، وهذا من حوالي سبع سنوات أو أكثر ، ولا زال يعمل .

وهناك شركات تعمل ، هناك شركة خزنت صحيح البخاري ، مثل شركة في البلاد العربية تسمى صخر[1] .

وتستطيع من خلال الكمبيوتر ، أن تأتي بمرويات الصحابي الذي تريد ، كمرويات جابر بن عبد الله مثلا ، فيأتيك بها كلها . وتستطيع أن تطلب منه كلمة من الحديث ، فيأتيك بكل الأحاديث التي وردت فيها هذه الكلمة ، وهكذا .

وقد سررتُ غاية السرور ، حينما رأيتُ الكمبيوتر قد دخل إلى هذه الدار ، فالدار تُطور نفسها ، إنها تتصلب في المبادئ والغايات ، ولكنها مرنة متطورة في الفروع والآلات .

---

(١) وقد ظهر الآن بعض الموسوعات التي جمعت الكتب الستة ، والكتب التسعة ، وبعضها جمع الآلاف من كتب متون الحديث ، وكتب التخريج ، والأجزاء الحديثية ، وكتب التاريخ ، وغيرها كثير في اسطوانة واحدة .

ومما أعجبني في اللوحة التي قرأناها أيضا في دار العلوم ، أنها قالت : إنها تتبع الحكمة التي تقول : الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها . فنحن لم نخترع الكمبيوتر ، وصنعه الغربيون ، ولكن الحكمة ضالتنا ، فنحن ننتفع بما صنعه الغربيون .

فالعلم المادي وتطبيقاته التي تسمى (التكنولوجيا) ، لا دين لها ولا وطن ، نأخذها من البَرِّ والفاجر ، والمسلم والكافر ، فهي وسيلة لها حكم مقصدها ، ما دمت تستعملها في مقصد شرعي ، وفي غاية مشروعة ، فحين ذلك ، يكون استخدامها عبادة من العبادات ، ويكون تعلمها فرض كفاية على الأمة .

بل أصبحوا الآن يقولون : يجب على كل متعلم ، أن يعرف قدرًا عن الكمبيوتر ، لأنه أصبح آلة مستخدمة في شتى مجالات الحياة ، فالصبي في المرحلة الابتدائية ، لا بد أن يتعلم الكمبيوتر ، والآن في البلاد العربية ، أدخلوا تعليم الكمبيوتر في المدارس الابتدائية ، وهذا هو معنى المرونة والتطور ، التي قامت عليها هذه الدار .

٧- الندوة تتبع في أمور الدين ، وتبتدع في أمور الدنيا :

هذه الدار لا تبتدع في أمور الدين ، فهي تتبع فيما يجب الاتباع فيه ، فحين ننظر إلى التاريخ الإسلامي ، باعتبار أن القرون

الأولى هي خير هذه القرون ، وهي مصدر الإشعاع ، وهي أقرب إلى الهداية النبوية ، وكل خير في اتباع هذه القرون ، كما قال صاحب الجوهرة ، التي كنا ندرسها في علم التوحيد :

فكل خير في اتباع مـــن ســـلف وكل شر في ابتداع مـــن خلـــف

فهذه القرون مصدر الإشعاع ، نتبعها في أمور الدين ، أما في أمور الدنيا ، فنحن نأخذها من أي إنسان ، وحسبنا قول النبي ﷺ : « أنتم أعلم بأمر دنياكم »[1]

حينما كان المسلمون على الهدي القويم ، وعلى الصراط المستقيم ، كانوا يتبعون في شؤون الدين ، ويبتدعون في شؤون الدنيا ، ولما انحرفوا ووهنوا ، صاروا يبتدعون في أمور الدين ، ويجمدون في أمور الدنيا .

فنحن ينبغي أن نعود إلى المنهج الأقوم ، أن نتبع في شؤون الدين ، ونبتدع ونبتكر في شؤون الدنيا ، الشؤون الفنية العلمية ، التكنولوجية ، الإدارية ، فهذه الأشياء قابلة للتطوير ، ولذلك فأنا سعيد بكل التطورات ، التي تدخل على هذه الدار ، ما بين الحين والحين .

وقد زرت هذه الدار ، بعد المهرجان التعليمي ، في زيارة استمرت نحو عشرة أيام ، أو قريبا من ذلك ، بدعوة من سماحة

---

(١) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٦٣) ، عن أنس وعائشة .

الشيخ أبي الحسن ، وإن لم أسعد به في تلك المرة ، كما أكرمني الله وأسعدني بوجوده هذه المرة ، فكان في تلك المرة غائبا عن الديار ، ولم نلتقي إلا في دلهي في ذهابنا لديوبند .

وزرتها أيضا ـ على عجل ـ في عام ١٩٨٢ ، عندما قدمتُ من مؤتمر في أعظم كرا ، عن الإسلام والمستشرقين ، وأبى الشيخ أبا الحسن إلا أن يكرمني ويشرفني ، بأن أرأس هذا المؤتمر .

وعدت إلى هذه الدار لأقيم فيها يوما ونصف اليوم ، ثم أكملنا رحلتنا في الهند ، مع أخويَّ الكريمين ، الدكتور عبد العظيم الديب ، والدكتور على محمد يوسف المحمدي ، الذي هو الآن عميد كلية الشريعة من أبناء قطر .

وفي كل مرة كنت أرى تطوراً في هذه الدار ، وهذا ما ينبغي ، فالإنسان ينبغي أن يُطوِّر نفسه ، قال أحد السلف : من كان يومه مثل أمسه فهو مغبون ، ومن كان أمسه خيرا من يومه فهو ملعون .

فينبغي أن نتطور دائما ، ونصل إلى الأمام ، ونتقدم في كل يوم ، ونطمح إلى الرقي وإلى السبق ، ﴿ **وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ** ﴾ (المطففين:٢٦) ، ﴿ **سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ** ﴾ (الحديد:٢١) ، ﴿ **وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ** ﴾ (آل عمران:١٣٣) فالله يدعونا إلى المسارعة والمسابقة ، وهذا هو

شأن الإنسان المسلم ، فهذه الدار تتطوَّر وتتغيَّر نحو الأفضل ، وتسابق وتسارع إلى أفضل التطوُّرات ، والحمد الله .

٨- الندوة تُنصف المرأة وتعليم المرأة :

ومن تطوُّر هذه الدار وعدم جمودها ، أني كنتُ ـ ونحن في اسطنبول في هذا الصيف ـ قد كتبتُ بحثا صغيرا ، أرجوا أن يوفقني الله لتفصيل ما أجملتُ فيه ، عن فقه الدعوة عند الشيخ أبي الحسن ، وذكرتُ في هذا البحث عشرين نقطة ، أو عشرين ركيزة يرتكز عليها فقه الدعوة عند الشيخ ، وكنتُ ألحظ شيئا لم أُبح للشيخ به ، واستحييتُ ـ حقيقة ـ أن أكلِّمه فيه .

رأيت أن فقه الدعوة عند الشيخ ـ كما قرأناه بالعربية ـ ينقصه شيء ، هذا الشيء هو موضوع المرأة ، وكنتُ أتساءل : لماذا لم يكتب الشيخ عن المرأة؟ لعل الشيخَ متأثِّر بالمجتمع الهندي ، الذي يأخذ من المرأة موقفا متشدِّدا ، ولا أدري سبب تشدُّد الإخوة الهنود في موضوع المرأة ، والمذهب الحنفي لم يأخذ من المرأة موقفا متشدِّدا ، فالإمام أبو حنيفة أجاز للمرأة أن تكون قاضية ، في غير الجنايات ، وقال إن المرأة المرتدة لا تُقتل ، والمذهب الحنفي لا يوجب تغطية وجه المرأة ، ولكن إخواننا الهنود متشددون كما رأيتُهم في كثير من الأحكام ، فقلت : لعل هذا نَضْحٌ من البيئة الهندية على الشيخ .

ولما جئتُ هنا ، ذكرتُ لبعض الإخوة والأبناء هذا الأمر ، فقلتُ لهم : لاحظتُ أن الشيخ لم يكتب شيئا عن المرأة ضمن كتاباته ، فقالوا لي : لا ، بل كتب ولكن باللغة الأردية ! ! فقلتُ لهم : فالخطأ عليكم إذًا ، وكان ينبغي لنا أن تترجموا لنا هذه الكتب ، حتى نفهم الشيخ فَهما كليًا .

وعرَفتُ من اهتمام الشيخ أنه قال في بعض ما قال : لا يمكن لهذه الأمة أن ترقى إذا أهملنا تعليم المرأة ، ولا يمكن للمجتمع الهندي المسلم أن يرقى ، إذا ظلَّت المرأة الهندية لا تقرأ ولا تكتب ولا تتعلَّم .

ومن أجل هذا دعا إلى مدارس المسلمات ،وجامعة المؤمنات ، وجامعة عائشة . وقد سررتُ واغتبطتُ بهذا جدًا ، والحمد لله ، لأني كنتُ أعتبر هذا قصورا ! كيف لم يهتم الشيخ بهذا الأمر؟ فصحَّحتُ معلوماتي .

اقتراحات لا بد منها :

على أن لي عدة اقتراحات أرى أنها تساهم في تطوير الندوة ، وهي :

١ - إقامة دار ندوة العلماء للنساء :

أدعو إلى أن تكون هناك دار ندوة العلماء للنساء ، كما للرجال ، فالمرأة نصفُ المجتمع ، وهذا ما قلتُه وأكَّدته ، فالمرأة

نصف المجتمع من ناحية العدد ، وأحيانا تكون أكثر من النصف ولكن في تأثيرها ، فلها تأثير أكثر من النصف ، لأنها تؤثِّر في زوجها ، وتؤثِّر في أولادها ، وتؤثِّر في أبيها ، وتؤثِّر في إخوتها ، وتؤثِّر في المجتمع من حولها ، فكلمة من المرأة تؤثِّر في زوجها ، أكثر من غيرها .

كما قالت المرأة من السلف الصالح لزوجها ، وقد خرج للعمل : يا أبا فلان ، إياك والكسب الحرام ، فإنا نصبر على الجوع والظمأ ، ولا نصبر على حرِّ النار وغضب الجبار[1] . فكان الرجل إذا وسوست إليه نفسه ، وأوشك أن تزل قدمه في كسب الحرام ، يذكر وصية زوجته : إياك وكسب الحرام . فالمرأة لها تأثيرها في زوجها وأولادها ، ولذلك نريد أن تصل المرأة إلى جامعة ، مثل جامعة الطلاب ، ونُطلق المرأة تدعو المسلمات وغير المسلمات .

ولا شكَّ أن النساء أقرب إلى الخرافة من الرجال ، ويوجد الملايين في المجتمع الهندي من النساء يجهلن الإسلام ، وهؤلاء خيرٌ من يدعوهنَّ هنَّ النساء ، نترك هؤلاء النساء يقمن بالدعوة في المدن والقرى والأرياف ، فهذا أمر مهم .

---

(١) ذكره الغزالي في الإحياء (٢/٥٨) .

نحن نريد أن ننهض بهذا المجتمع الهندي ، نريد أن نحمي هذا المجتمع من الإبادة التي تُبيَّت له ، فالوجود الإسلامي في الهند مهدَّد بالفناء ، والقوم قد حدَّدوا الهدف ، ورسموا الخطط ، وقدَّروا المراحل ، وهيَّأوا الأسباب ، وبدأوا بالتنفيذ ، وبدأت تظهر إشارات ، وتظهر مقدِّمات ، وتظهر نتائج لهذا المخطط . فلا بدَّ أن نقف على أرض صُلبة ، ونحن نواجه هذا المخطط ، وهذا الكيد العظيم ، لا بدَّ أن نواجه الكيد بأقوى منه ، وإن شاء الله كيد الله أقوى : ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ (الطارق:١٥-١٧) ، ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (الأنفال:٣٠) .

ولكن لا بدَّ أن نتخذ الوسائل ، ومن هذه الوسائل أن نُعِد المرأة المسلمة ، ونخرجها من الأمية ، ونرتفع بمستواها ، ونجعل منها العالمة والداعية . وليس بالضروري أن نأخذ بقول أبي حنيفة ونجعلها قاضية حتى لا يغضب أحد ، ويكفينا أن تكون داعية تدعو إلى الله ، وتحمل رسالة الإسلام ، كما حملتها نساء الأمة من قبل .

نحن نعلم أن أول مَن أيَّد رسول الله ﷺ لم يكن رجلا ، وإنما كانت امرأة هي ، خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وأرضاها . وكان أول دم أهريق في الإسلام هو دم امرأة ، دم سمية ، امرأة

ياسر وأم عمار ، رضي الله عنهما . فكان لزاما علينا أن نهتمَّ بأمر المرأة .

٢- إنشاء قسم للإنجليزية لتكوين دعاة يتحدَّثون بها :

وهناك أمر آخر مهم ، نبَّه عليه الشيخ الندوي ، وهو يتكلَّم عن القرآن الكريم ، وبيَّن بأن اللغة الإنجليزية يجب أن نهتمَّ بها ، كما نصح الشيخ ـ الطلاب وأبناء هذه الدار ـ أن يقوُّوا أنفسهم في اللغة العربية ، وأن يتضلَّعوا فيها ، حتى يستطيعوا أن يواجهوا العلمانيين ، وخريجي الجامعات المدنية ، وهم ذوو قدم راسخة .

وأنا أقول : ينبغي للدار أن تهيِّئ هذا ، فلا يكفي أن نطلب من الأبناء ، أن يقووا أنفسهم فقط ، بل لا بد أن نهيِّئ الأسباب لهذا ، نجعل قسما مثلا للغة الإنجليزية ، لتكوين دعاة يتكلَّمون اللغة الإنجليزية بطلاقة ، ليكونوا دعاة في هذه البلاد ، أو نبعثهم إلى أوربا ، وإلى أمريكا ، وإلى أستراليا ، وكندا ، وغيرها . وهذا أيضا مما أنبِّه عليه .

٣- زيادة جرعة العلوم العصرية :

وكذلك مما أنبِّه عليه لتزداد هذه الدار رسوخا ، وجلالا وجمالا وكمالا ـ إن شاء الله ـ بقدر المستطاع ، فلا يستطيع أحد أن يبلغ الكمال كلَّه ، أريد لهذه الدار أن تزيد الجرعة من العلوم العصرية .

نحن في الأزهر تعلَّمنا علوم العصر ، وكان الأزهر قديما يدرِّس علوم الدين واللغة العربية ، ويدرسها بالمطولات ، والموسوعات ، والحواشي ، لا يكتفي بالشروح وإنما على الشروح حواشٍ ، وعلى الحواشي تقريرات ، ولكن لم يكن خريجو الأزهر يعيشون الحياة ، كانوا بمعزل عن عصرهم ، ولهذا جاء الشيوخ من عهد الشيخ الإمام محمد عبده ودعَوا إلى تطوير الأزهر وإصلاحه ، وإدخال العلوم العصرية فيه ، وكان الإنجليز الذين يحكمون مصر في ذلك الوقت يتمنَّون أن يبقى الأزهر على قِدَمه ، وعلى جموده ، حتى إن الدولة نفسها تركت الأزهر ، وقالوا : دعوه يموت في جموده . وأنشأوا كليَّة جديدة اسمها دار العلوم ، أنشأها السيد على مبارك ، وتركوا الأزهر .

ولكن الرجال المصلحين من أمثال الشيخ محمد عبده ، وتلميذه الشيخ محمد مصطفى المراغي ، عملوا على تطوير الأزهر ، وأدخلوا فيه هذه العلوم الحديثة ، وقسَّموه إلى كليَّات .

وقد كان الأزهري قديما يتخرَّج في كلِّ العلوم ، عربية ودينية ، فقسَّموه إلى ثلاث كليات : كلية لأصول الدين ، وكلية للشريعة ، وكلية للغة العربية . وأدخلوا العلوم الحديثة ، في المراحل الابتدائية والثانوية في الأزهر ، وتخرَّج الجيل الذي قبلي على هذا الأساس ، وتخرَّج جيلي على هذا الأساس ، فدرسنا الفيزياء ،

والكيمياء ، والبيولوجيا أو علم الأحياء ، وعلم النبات ، وعلم الرياضيات ، ودرسنا الجغرافيا والتاريخ . . إلخ .

فالذي أراه أن الجرعة الموجودة في هذه الدار ، في مجموعها تحتاج إلى زيادة ، حتى يعيش خريجو هذه الدار على المستوى المطلوب منهم ، ولا يكونوا أقل مستوى من الآخرين ، وليس الضروري الكم ، إنما المهم هو الحد الأدنى الضروري ، الذي يستطيع به الإنسان أن يعايش الحياة ، وأن يعرف ما يقرأ من كتب حديثة .

٤- إقامة معهدا عاليا للتربية والتدريس :

ومن الأمور التي أراها مهمَّة لهذه الدار ، أن فيها معهدا عاليا للدعوة والفكر الإسلامي ، ومعهدا عاليا للقضاء والإفتاء ، وأنا أرى أنه مما يكمِّل هذا ، أن يكون هناك معهدا عاليا للتربية والتدريس .

وهذا ما يفعله الأزهر ، فالأزهر كان فيه ثلاث تخصُّصات : تخصص للقضاء ، ويدخل فيه خريجو كلية الشريعة ، وتخصص للدعوة والإرشاد ، يدخل فيه خريجو كلية أصول الدين ، وتخصص للتربية والتدريس ، يدخل فيه خريجو الكليات الثلاث ، ممَّن يريدون أن يعملوا بمهنة التدريس ، حتى يطوِّروا أساليبهم في التدريس ، وفي هذا التخصص درسنا علم النفس التربوي ،

وعلم نفس النمو ، وأصول التربية ، والطرق العامة للتدريس ، والطرق الخاصة للتدريس ، والتربية العملية ، فلم نكتفِ بالدراسة النظرية ، وإنما درسنا التربية العملية ، وكنا نذهب إلى المدارس ونُدَرِّس ، تحت إشراف أساتذة كبار متخصصون في هذه الناحية ، فيستطيع الإنسان بذلك ، أن يصل إلى الدرجة المطلوبة في حسن التدريس .

٥- استخدام طرق التربية الحديثة :

نحن في الغالب نكتفي بالتلقين ، وهو الطريقة السائدة في المعاهد الدينية ، والجامعات الدينية ، يقرأ المدرس وعلى التلاميذ أن يسمعوا ، ولكن الواجب أن نستخدم الطرق الحديثة في التدريس ، وهي في الحقيقة ليست حديثة ، فقد ذكرتُ في كتابي (الرسول والعلم) : أن ما يخطئ الناس في تسميته بالتربية الحديثة ، هو في أصله تربية محمدية نبوية أصيلة .

فالنبي ﷺ ، كان يعلم أصحابه عن طريق الحوار والأسئلة ، وإثارة الانتباه ، والشوق ، واتخاذ وسائل الإيضاح الممكنة ، فبدلا من أن يقول : أكبر الكبائر كذا ، يقول : «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟»[1] وهكذا .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في الشهادات (٢٦٥٤) ، ومسلم في الإيمان (٨٧) ، كما رواه أحمد (٢٠٣٨٥) ، والبيهقي في الشعب (٧٨٦٦) عن أبي بكرة .

من ذلك أن النبي ﷺ سأل أصحابه يوما : «أي الخلق أعجب إيمانا؟» . قالوا : الملائكة . قال : «الملائكة عند ربهم كيف لا يؤمنون؟». قالوا : النبيون . قال : «النبيون يُوحى إليهم فكيف لا يؤمنون؟». قالوا : الصحابة . قال : «الصحابة يكونون مع الأنبياء ، فكيف لا يؤمنون! ولكن أعجب الناس إيمانا قوم يجيئون من بعدكم ، فيجدون كتابا من الوحي ، فيؤمنون به ، ويتَّبعونه ، فهم أعجب الناس ، أو الخلق ، إيمانًا»[1].

ومثل ما قال : «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وإنها مثل المسلم ، فحدثوني ما هي ؟» . فوقع الناس في شجر البوادي ، قال عبد الله : ووقع في نفسي أنها النخلة ، فاستحييت . ثم قالوا : حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال : فقال : «هي النخلة». قال : فذكرتُ ذلك لعمر ، قال : لأن تكون قلتَ هي النخلة ، أحبُّ إلي من كذا وكذا[2].

---

(١) رواه البزار (٧٢٩٤) وقال غريب من حديث أنس ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥١/١٠): رواه البزار وفيه سعيد بن بشير ، وقد اختلف فيه ، فوثقه قوم ، وضعفه آخرون ، وبقية رجاله ثقات . وصححه الألباني في الصحيحة (٣٢١٥) عن أنس .

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦١) ، ومسلم في صفة القيامة (٢٨١١) ، كما رواه أحمد (٥٢٧٤)، والترمذي في الأمثال (٢٨٦٧)، والنسائي في الكبرى في التفسير (١١١٩٧) عن ابن عمر .

ونجده يستخدم الإشارة الحسية ، مثل : «بعثتُ أنا والساعة كهاتين» وأشار بالسبابة والوسطى[1].

وقوله : «أنا وكافل اليتيم ، في الجنة كهاتين» وأشار بإصبعيه ، يعني : السبابة والوسطى[2].

وقوله : «التقوى ها هنا» وأشار إلى صدره[3].

وقوله لمعاذ بن جبل ، وقد أخذ بلسان نفسه : «كُف عليك هذا»[4]. فهناك فرق بين أن تقول كف عنك لسانك ، وأن تشير إلى لسانك وتقول : كف عنك هذا ؛ لأنه قد يَنسى لو قلت : كف عنك لسانك . أو التقوى في القلوب . ولكن الإشارة لا تُنسى .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في الرقاق (٦٥٠٤) ، ومسلم في الفتن (٢٩٥١) ، كما رواه أحمد (١٢٢٤٥) ، والترمذي في الفتن (٢٢١٤) عن أنس .

(٢) رواه البخاري في الأدب (٦٠٠٥) ، وأحمد (٢٢٨٢٠) ، وأبو داود في الأدب (٥١٥٠) ، والترمذي في البر والصلة (١٩١٨) ، عن سهل ابن سعد .

(٣) سبق تخريجه ص ٤ .

(٤) رواه أحمد (٢٢٠١٦) ، وقال مخرجوه: صحيح بطرقه وشواهده ، كما رواه الترمذي في الإيمان (٢٦١٦) وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٣) ، والنسائي في الكبرى في التفسير (١١٣٣٠) عن معاذ .

وهكذا استخدم النبي ﷺ في تعليمه للصحابة ، وسائل تعينهم على الفَهم ، فينبغي علينا أن نتَّخذ الوسائل للتعليم ، ولا نتَّخذ وسيلة التلقين فقط ، ينبغي أن نُشرك طلابنا معنا ، حتى يتلقوا العلم بأذهان مفتوحة ، وصدور مشروحة ، وقلوب مطمئنة .

فأنا أرجو أن يكون هذا من التطوُّرات المقبلة في هذه الدار المباركة ، التي تتحسَّن يوما بعد يوم ، وتتوسَّع يوما بعد يوم .

٦- إقامة معهد لخريجي الكليات العصرية :

وأقترح أمرا آخر مهما ، هو أن يُفتح معهد لعموم الناس ، لخريج الجامعات العصرية ، لمَن يريد أن يتعلَّم الدين في وقت فراغه ، وقد وجدتُ الإخوة في (أذر أباد) فعلوا ذلك ، ففتحوا معهدا سمَّوه (المعهد الديني العربي) لخريجي الجامعات العصرية .

فنحن ندعم جامعاتنا بعلوم العصر ، وندعم خريجي الجامعات العصرية بعلوم الدين ، فنحن لا نستطيع أن نَدخُل هذه الجامعات ، ولكننا نستطيع أن نُدخل الخريجين من أبناء المسلمين إلى معهدنا ، ونعلِّمهم ما تيسَّر من علوم الدين ، ونختار الأصول لا الفضول ، والمهم لا غير المهم ، هذا أيضا ما أرجوه من هذه الدار .

إني أعتقد أن هذه الدار دار مباركة ، وأن هذه المؤسسة مؤسسة نافعة ، وأنها تسير من حسن إلى أحسن ، ومن أحسن إلى الأحسن ، ومن الأحسن إلى الأكثر حسنا إن شاء الله .

وهذا ما نتمنَّاه لهذه الدار ، ما دام على رأسها هذا الشيخ المبارك الشيخ الندوي ، الذي رزقه الله حبَّ الناس أجمعين ، ومن أجل هذا يساعده المسلمون ، داخل هذه الدار وخارجها ، ومن أجل هذا امتدَّت هذه الندوة واتَّسعت .

٧- تمديد مؤسسات الندوة إلى الهند والبلاد الاسلامية :

وأنا أريد من الشيخ وإخوانه ، أن يمدُّوا مؤسَّسات الندوة إلى الهند كلِّها ، ولا يكتفوا بالولاية الشمالية ، وإنما ينبغي أن تكون هذه المدرسة بخصائصها ، ومقوِّماتها في كلِّ الهند ، بل أقول : ينبغي أن تمتدَّ إلى البلاد الإسلامية ، فحبَّذا لو ذهب الشيخ إلى ماليزيا مثلا ، أو إندونيسيا ، وأقنعهم بوجود فرع لندوة العلماء . فنحن نريد لهذه الدار أن تمتد ، وأن يُظِلَّ المسلمين بركتُها ، ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ، وأعتقد أن الشيخ بما هيَّأ الله له من أسباب ، وما فتح له من قلوب أعتقد أنه سيوفَّق في سعيه هذا .

يا أيها الإخوة : إن ندوة العلماء جديرة ، في أن يقال فيها أكثر من محاضرة ، وهذه ليست محاضرة ، بل هي خواطر عن هذه الندوة المباركة ، ودار علومها ، وكليَّاتها المختلفة ، ومؤسَّساتها

التابعة لها ، وقد زرتُ عددا منها والحمد لله ، وكلُّها نافعة مباركة ، كلُّها منتج مثمر ، ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ﴾ (الأعراف:٥٨) .

وختاما ، لا أملك في ختام كلماتي هذه ، وأنا أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه ، إلا أن أدعو الله تبارك وتعالى ، لهذه المؤسسة أن يبارك فيها ، وفي مساعيها ، ويحقق أهدافها ، ويكرم المتخرجين منها في الدنيا والآخرة ، وينفع بهم ، ويجعلهم من العلماء الربانيين ، العالمين العاملين ، المعلمين ، الذين يتعلمون فيعملون ، ويعملون فيخلصون ، ويخلصون فيقبلون .

كما أساله تعالى أن يبارك في حياة شيخنا الإمام العلامة الشيخ السيد أبي الحسن على الحسني الندْوي ، الذي أتقرَّب إلى الله بحبِّه ، وأسأل الله أن يجعل حبِّي له شفيعا لي يوم القيامة ، وأن يحشرني معه في زمرة ﴿ أَلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء:٦٩) .

والحمد لله رب العالمين .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
ندوة العلماء ودورها المعاصر.....	٣
أحببنا أبا الحسن قبل أن نراه.....	٦
حبَّبَ إلينا الشيخ الندوي ندوة العلماء قبل أن نراها.....	٧
وصف الشيخ علي الطنطاوي لندوة العلماء.....	٨
زرتُ ندوة العلماء فصدَّق الخُبْر الخَبَر.....	٩
مزايا ندوة العلماء.....	٩
١- نفحات رُوحية في ندوة العلماء لا توجد في غيرها	٩
٢- معلمي هذه الدار أصحاب رسالة.....	١٠
٣- أبناء هذه الدار ربانيون.....	١١
٤- الجمع بين العلم والعمل والدعوة.....	١٢
٥- الندوة ثابتة في الأصول متغيرة في الوسائل.....	١٩
٦- الندوة تستخدم الكمبيوتر في العلوم الإسلامية.....	٢٠
٧- الندوة تتبع في أمور الدين ، وتبتدع في أمور الدنيا	٢٢
٨- الندوة تُنصف المرأة وتعليم المرأة.....	٢٥
اقتراحات لا بد منها :.....	٢٦
١- إقامة دار ندوة العلماء للنساء.....	٢٦

٢- إنشاء قسم للإنجليزية لتكوين دعاة يتحدَّثون بها... ٢٩
٣- زيادة جرعة العلوم العصرية..... ٢٩
٤- إقامة معهدا عاليا للتربية والتدريس..... ٣١
٥- استخدام طرق التربية الحديثة..... ٣٢
٦- إقامة معهد لخريجي الكليات العصرية..... ٣٥
٧- تمديد مؤسسات الندوة إلى الهند والبلاد الاسلامية. ٣٦
الفهرس..... ٣٩